

(١٠٩) سورة الكافرون

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها ست نزلت بعد سورة الماعون وهى سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال فقد دعا المشركون رسول الله ﷺ إلى المهادنة فطلبوا منه أن يعبدوا آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين وتفصل فى النزاع بين الفريقين أهل الإيمان وعبادة الأوثان وترد على الكافرين فكرتهم السخيفة فى الحال والاستقبال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَتَّيِبُوكَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ وَلَا أَتَّبِعُ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ﴿ وَلَا أَتَّبِعُ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ﴿

التفسير:

﴿ قُلْ يَتَّيِبُوكَ الْكَافِرُونَ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأصنام والأوثان والأحجار ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أى لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التى تعبدونها، فأنا برئ من آلهتكم التى لا تضر ولا تنفع ولا تغنى عن عبادتها شيئا قال المفسرون: إن قريشا طلبت من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فقال؛ معاذ الله أن نشرك بالله شيئا فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا تصدقك ويعبدوا إلهك، فنزلت السورة فعدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملائكة من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه^(١) وآذوه وآذوا أصحابه وفى قوله "قل" دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله وخطابه ﷺ بلفظ ﴿ يَتَّيِبُوكَ الْكَافِرُونَ ﴾ ونسبهم إلى

(١) روح المعانى للألوسى ٢٥٠/٣٠ وتفسير القرطبى ٢٢٥/٢٠.

الكفر وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إلى ذلك... دليل على أنه من عند الله، فهو لا يبالي بهم ولا بطواغيتهم ﴿وَلَا أَتَشْرَعُ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أى ولا أنتم يا معشر المشركين عابدون إلهى الحق الذى أعبدته وهو الله وحده فأنا أعبد الإله الحق وهو الله رب العالمين، وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان وشتان بين عبادة الرحمن، وعبادة الهوى والأوثان ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ تأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأحجار وقطع لأطماع الكفار كأنه قال: لا أعبد هذه الأوثان فى الحال ولا فى الاستقبال، فأنا لا أعبد ما تعبدونه أبدا ما عشت، لا أعبد أصنامكم الآن ولا فيما يستقبل من الزمان ﴿وَلَا أَتَشْرَعُ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أى ولستم أنتم فى المستقبل بعابدين إلهى الحق الذى أعبدته ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ أى لكم شرككم ولى توحيدى، وهذا غاية فى التبرؤ من عبادة الكفار والتأكيد على عبادة الواحد القهار قال المفسرون: معنى الجملتين الأولتين: الاختلاف التام فى المعبود فإنه المشركين الأوثان، وإله محمد الرحمن الرحيم ومعنى الجملتين الأخيرتين الاختلاف التام فى العبادة.

الإعراب:

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ	قل فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، يا حرف نداء أى منادى نكرة مقصودة مبنى على الضم فى محل نصب، ها للتنبيه الكافرون بدل من أى أو نعت مرفوع بالواو وجملة النداء فى محل نصب مقول القول.
لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ	لا نافية، أعبد مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا ما اسم موصول بمعنى الذى فى محل نصب مفعول به، تعبدون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويجوز أن تكون ما مصدرية فتكون مؤولة مع ما بعدها بمصدر فى محل نصب مفعول مطلق.
وَلَا أَتَشْرَعُ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ	الجملة معطوفة على ما قبلها، الواو عاطفة لا نافية أنتم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عابدون خبر مرفوع بالواو، ما اسم موصول

بمعنى الذى الذى فى محل نصب مفعول به لاسم الفاعل ، اعبد مضارع مرفوع وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها ، وإن كانت مصدرية فتكون مؤولة مع ما بعدها بمصدر فى محل نصب مفعول مطلق.	
الجملة معطوفة على ما قبلها وينفس الإعراب تقريبا وللنحويين أراء فيها : أولا أنها كلها بمعنى الذى ثانيا أنها كلها مصدرية ثالثا الأوليان بمعنى الذى والأخريان مصدريتان ^(١) .	وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ
سبق إعرابها.	وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ
لكم خبر مقدم فى محل رفع ، دينكم مبتدأ مؤخر مرفوع ولى دين عطف على ما قبلها.	لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينٍ

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها :

- الخطاب بالوصف « يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » للتوبيخ والتشجيع لكفار مكة.
- الطباق بالسلب بين « لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ » فالأول نفى والثانى إثبات.
- المقابلة بين « لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ » و « وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ » أى فى الحال والمقابلة بين « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ » و « وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ » فى الاستقبال وفى هذه المقابلة نفى لعبادة الأصنام فى الحال والاستقبال وهو من المحسنات البديعية.

- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.



(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش ص ٦٠١.